

## الريف السوري

### معجم العصر لبلدان وقرى الإقليم السوري

بقلم : أحمد شكري

يقوم البحاثة الأستاذ أحمد وصفي زكريا بمجهود علمي وطني كان من واجب الحكومة أن تضطلع به وتكلف به لجاناً من المختصين تتناول تعويضات كبيرة لتتوصل إلى نفس النتائج التي يصل إليها الأستاذ زكريا وحده بإمكانياته الفردية وجهده الشخصي.. إنه عمل يستحق الإكبار والتقدير ولكنه لا يقابل بما يستحق.. إنه يضع معجماً للإقليم السوري يصف محافظات واحدة واحدة، ويمسك كلاً منها على حدة فيفرغ بين يدي القارئ كل المعلومات عنها ويمشي معه في طرقاتها فيعرج على كل بلدة وعلى كل قرية وعلى كل مركز مفصلاً إياها قضاء فقضاء وناحية فناحية، مقدماً وصفاً محسوساً مستمداً من شهادة العيان لكل منها من النواحي الطبوغرافية والتاريخية والأثرية والاجتماعية والزراعية والعمرانية مع لخراائط المتصلة بالموضوع.

هل هذا قليل، كلا والله بل إنه عمل كبير لم نسمع بمثله منذ عصر ياقوت الحموي الذي قدم لنا معجم البلدان، وما نحن أمام ياقوت العصر يقدم لنا بلادنا بلداً بلداً وقرية قرية ويشرح أوضاعها وثرواتها ومستوى معيشتها وموارد رزقها وتقاليدها وعاداتها ومطالبها وأخبارها وشخصياتها البارزة وتركيبها الإداري.. وأن أي مواطن يثق بعلمه وسعة اطلاعه في أحوال وطننا سيجد أن الأستاذ زكريا في كتابه (الريف السوري) يأتيه بجديد عليه.. وسيجد أيضاً أن من أمتع الأمور أن يطلع الإنسان على أحوال بلاده بهذا التفصيل والوصف الواقعي المؤثر.

أقول هذا بمناسبة صدور الجزء الثاني من كتاب (الريف السوري) الذي

يشرح أوضاع أقضية الغوطتين والزبداني وقطنا والقنيطرة، ويذكر القراء أن الجزء الأول من هذا الكتاب يشرح أوضاع أقضية النبك وبيروود والقطيفة والتل ودوما والنشابية والذين قرؤوا الجزء الأول مثلي شعروا بدون شك بأهمية الكتاب وتمنوا لو أن مؤلفه عجل بإخراج الأجزاء التالية، وهو مستعد لبذل هذا الجهد لوطنه إذا ساعفه الوقت والوسائل وإذا لقي التقدير الكافي من الحكومة والشعب، وأرجو أن يتحقق ذلك لأن الكتاب هام وهو خير من تلال اللغو والهذر التي يذفها تيار النشر الهائل في البلاد العربية، فهو يقدم لنا بلادنا وأريافنا في تفاصيل حياتها ومعاشها ويمد أمام عقولنا شاشة سحرية تعرضها شيئاً فشيئاً، مشهداً فمشهداً مفصلة فترى نفسك تجوس الطرقات وتدخل البيوت وتفحص الأثاث وتقعّد في المجالس وتمعن النظر في الألبسة والوجوه.. وتتعبق القوم في أفراحهم ومأسيتهم.. وفي لقمتهم وكدحهم وصراعهم مع عوامل الطبيعة.. وجهادهم لترميم ما خربته النكبات.. وتشعر بروح الناقد المصلح المتألم للنقائص والعيوب يتحراها ويعالجها ويدعو إلى إصلاحها.

لقد انتهى الأستاذ زكريا بإصدار الجزئين الأول والثاني من كتابه من محافظة دمشق، وإننا لنرجو أن يتاح له إصدار الأجزاء التالية التي تتناول بنفس الشرح والاستيفاء المحافظات الأخرى في الإقليم السوري محافظات حلب وحمص وحماه والجزيرة والفرات واللاذقية وحران والجبل.. لتتعرف إلى بلادنا هذا التعرف العميق الدقيق الشامل الذي لا يمكن أن يتاح لإنسان عملياً.. ولنغوص في ثروة من الصور والمعلومات والملاحظات تقدمها لنا ذهنية مدققة ومجهود مؤثر يشي بحب الوطن والأرض والبلاد ولنسد باستكمال هذه الموسوعة الهامة بل بمعجم أرياف الإقليم السوري نقصاً كبيراً في دائرة معارفنا المكتوبة.. لم يسده أحد منذ عصر ياقوت الحموي.

إن أجزاء هذا المعجم يمكن ويجب أن تكون مرجعاً ثقافياً ضرورياً

للموظفين الإداريين في الإقليم السوري ليكونوا مطلعين اطلاعاً كافياً على أوضاع ودخائل وأمور الأقضية والنواحي التي يعينون فيها.. ومن واجبنا أن نثير انتباه وزير الداخلية إلى هذا الكتاب الذي تدعو الضرورة إلى تعميمه على الموظفين الإداريين ومكاتب البلديات لتزويدهم بالمعلومات العامة الضرورية عن بلادنا التي يجهلها معظمنا.. ولا يعرف عنها إلا القليل، كما نثير انتباه الوزير إلى بحث إمكانية تشجيع المؤلف على إخراج الأجزاء الأخرى ليوضع هذا المرجع كاملاً بين يدي وزارته للاستفادة منه في أمور شتى على ضوء المصلحة العامة.